■ تقديم

تدور موضوعات هذا الكتاب حول قضية مركزية ذات شقين تتمحور حول أولاً: أزمة العقل الجمعى وحرية التعبير لدى الإعلاميين والصحفيين وثانياً: أزمة العدل الاجتماعى التى تحاصر جموع الكادحين فى مختلف مجالات العمل الوطنى وتحول دون إطلاق طاقات وإرادة النهوض والإبداع الفكرى والإنسانى.

وأحاول من خلال القضايا التى يطرحها الكتاب أن أجيب عن بعض التساؤلات التى برزت ولازمتنى خلال مسيرتى العلمية واشتباكى الدائم مع تحديات وأزمات الوطن.

ونقطة الانطلاق ثورة يناير ٢٠١١ التى فجرت براكين الغضب الكامن فى نفوس المصريين وأشعلت ثقافة جديدة تمثلت فى كسر حاجز الخوف والتردد واللامبالاة التى سيطرت على العقل والإرادة الجماعية لدى الشعب المصرى على امتداد عدة عقود والناتجة عن تراكم وتعدد أشكال القمع المادى والمعنوى التى فرضتها نظم الحكم الاستبدادية. ولعل أبرز ما حققته ثورة يناير أنها كشفت الغطاء الذى كان يغلف ويخفى فشل الأنظمة العربية الاستبدادية فى خلق مجتمعات قائمة على مبدأ المواطنة المجتمعية والعدالة الدستورية والمساواة الحقيقية أمام القانون رغم مظاهر الحداثة العصرية التى لم تتجاوز السطح وظلت قشرة ظاهرية هشة من التحديث بل حافظت على استمرار

البنى التقليدية والقبلية والطائفية وكرست الفروق الطبقية وأشاعت الثقافة الاستهلاكية وبرزت تجلياتها بصورة فجة بعد قيام ثورات الربيع العربى. ويرصد الكتاب هذه التجليات التى ظهرت فى صورة تحديات مزمنة وإشكاليات مستعصية. وقد تم نشر بعضها فى مقالات صحفية كما عرض ونوقش البعض الآخر فى الندوات العلمية وحلقات النقاش الثقافية وتراوحت ما بين الشهادات الواقعية ومحاولات التأصيل المعرفى. وتوزعت موضوعات الكتاب على عدة فصول ومباحث واستأثر الفصل الأول (أربعة مباحث) بأزمة الإعلام وثقافة التغيير فى ظل ثورة يناير مستهدفاً الإجابة عن سؤال جوهرى لا يزال مطروحاً فى سياق الوضع الحالى المأزوم مجتمعياً وفكرياً ويدور حول قدرة الإعلام المصرى على أن يطرح خطاب التغيير المجتمعى الذى يتمثل فى بث ونشر وترسيخ قيم وأهداف ثورة يناير (عيش – حرية – عدالة اجتماعية – كرامة إنسانية).

إذ يركز المبحثان الأول والثانى على أزمة الإعلام المصرى الذى حوصر بين شقى الرحى سطوة رجال المال والتدخلات الأمنية ضد حرية التعبير وبين هيمنة جماعات الإسلام السياسى المعادية لحرية الرأى والتعبير والإبداع من ناحية أخرى. ثم يغوص المبحث الثالث فى كوامن الأزمة محاولاً الكشف عن أسبابها التى تتجسد فى ترسانة القيود التشريعية والقوانين التى تحجم دور وتأثير الإعلام وتتجدد جيلاً بعد جيل مضافاً إليها تركة التبعية الفكرية والمهنية لمنظومة القيم الغربية فضلاً عن غياب الممارسة الديمقراطية فى المؤسسات الإعلامية والإشكاليات المهنية والأخلاقية التى تحجم عطاءات الإعلاميين وتعوق دورهم فى التعبير عن مجمل الواقع المجتمعى بتعقيداته الاقتصادية والسياسية وتناقضاته الاجتماعية وتعددية التيارات الثقافية التى تتفاعل بداخله وتحول دون إسهام الإعلام فى نشر وتعزيز ثقافة التنوير وفكر التغيير الشامل. هذا فيما يركز المبحث الرابع من الفصل الأول على دور الإعلام فى مواجهة قضايا الفقر والإفقار الذى اتسعت مساحاته وطالت معظم فئات المجتمع المصرى فى الريف والحضر فى ظل العولمة

الرأسمالية المدعومة بثمار التقدم التكنولوجى فى مجال الاتصال والمعلومات حيث برز الدور التضليلى للإعلام متمثلاً فى أحادية المعالجة لقضايا الفقر وقصرها على آراء المسئولين المحليين والدوليين وتهميش حقوق ورؤية الفقراء.

ويأتى الفصل الثانى (مبحثان) ليؤكد على حرية الصحافة وحماية حق الصحفيين فى حرية النقد والتعبير باعتبارها حق أصيل من حقوق الإنسان وحق مهنى يرتبط بطبيعة وجوهر مهنة الصحافة. وقد تجسد ذلك فى الشهادة التى أدليت بها فى محكمة جنح العجوزة دفاعاً عن رؤساء تحرير أربعة صحف خاصة صدر الحكم بحبسهم لمدة عام لاتهامهم بسب وقذف رئيس الدولة السابق حسنى مبارك حيث طالبت بضرورة الكف عن تطبيق قانون العقوبات لتجريم حرية التعبير وحرية الصحافة. واستندت فى شهادتى إلى عدة أمثلة من تاريخ الصحافة المصرية التى حوت مقالات نقد عنيف للملك والوزراء ورؤساء الوزراء فى عهود سابقة ومع ذلك أنصفهم القضاء المصرى وحكم لهم بالبراءة.

ويناقش المبحث الثانى – الفصل الثانى المعنون: (حرية التعبير فى ظل الإنترنت) الدور الحيوى الذى يقوم به الإنترنت فى ترسيخ حرية التعبير وفتح آفاق جديدة لممارستها مما يمثل تهديداً غير مسبوق للحكومات العربية ومحاولاتها المستميتة من أجل فرض رقابة على الإنترنت خصوصاً بعد ظهور المدونات الإلكترونية.

ويتضمن الفصل الثالث (مبحثان) محاضرة ألقيتها فى ندوة تونسية عن إشكالية الحرية فى كتابات المرأة العربية وتشير إلى القيود النفسية والمجتمعية التى واجهتنى عندما حاولت كتابة سيرتى الذاتية.

وهكذا تتواصل فصول الكتاب حيث ركز الفصل الرابع (مبحثان) على رصد أصداء ثورة يناير لدى علماء وأساتذة الإعلام الأفارقة الذين التقيت بهم فى إطار المؤتمر الدولى للإعلام المنعقد فى يوليو ٢٠١٢ بمدينة ديربان – جنوب أفريقيا حيث قارنوا بين انتفاضة يناير المصرية وانتفاضة سويتو الجنوب أفريقية (١٩٧٦)

والتى شكلت نقطة تحول رئيسية فى نضال شعب جنوب أفريقيا. وقد أكدوا أن أهمية ثورة يناير تكمن فى قيمتها الرمزية كنضال جماهيرى يمكن أن تقتدى به سائر المجتمعات العربية والأفريقية. إذ تفتح آفاقاً جديدة وفرصاً غير مسبوقة للتغيير. ثم تأتى مداخلتى عن صورة الثورة الجزائرية لدى الشباب المصرى فى الخمسينيات تواصلاً مع التحديات التى تواجه الجزائر بمناسبة مرور نصف قرن على استقلالها وقد طرحت هذه المداخلة فى إطار الملتقى الدولى الذى عقد بمدينة تلمسان ونظمه المركز الوطنى للبحوث فى عصور ما قبل التاريخ ونجح فى إلقاء الضوء على التاريخ الثورى لأهالى تلمسان من خلال الشهادات الواقعية التى أدلى بها المجاهدون المشاركون فى أحداث الثورة الجزائرية.

ويتوج الفصل الخامس (ثلاثة مباحث) خاتمة الكتاب حيث يعرض التحديات التى تواجه القومية العربية فى زمن العولمة ثم يطرح أزمة الحقوق الثقافية فى ظل العولمة الرأسمالية مبرزاً إشكالية الهوية فى إطار ثورة المعلومات وتأرجحها ما بين الأطروحات التى تقدس التراث العربى الإسلامى وتقف على أعتابه مسقطة تأثير الزمان والمكان وما بين القيم الوافدة التى تقدس الاستهلاك وتروج للمنفعة الفردية وفى النهاية يأتى المشهد العالمى المتأزم بين ضغوط النظام العولمى الرأسمالى الذى تسبب فى معاناة ملايين البشر وكان حتمياً أن يسفر عن اندلاع حركة مناهضة العولمة الرأسمالية تلك العولمة التى لم تقدم للغالبية العظمى من سكان هذا الكوكب سوى الفقر والمهانة والمرض والبطالة.

وختاماً أهدى هذا الكتاب إلى أحفادى وطلابى الذى يشكلون الفصيل الثورى من الشباب صناع التغيير الذى أتمنى أن يشهده جيلى.

عواطف عبد الرحمن

البحر الأعظم - الجيزة

فبراير ٢٠١٣